وظائف اللغـــة

تعريب الأستاذ: عبد المجيد سالي

يجب أن ندرس اللغة في ضوء تنوع وظائفها... وقبل أن نعطي فكرة واضحة عن هذه الوظائف المتنوعة علينا أن نتعرض في لمحة سريعة للعوامل التأسيسية لأي حدث لساني وأي فعل تبليغي شفوي يُوجه المرسل إلى المخاطب خطاباً لا بد له من سياق يرجع إليه ليصبح عملياً مفهوماً ويكون الخطاب منطوقاً حيناً وقابلاً لأن يكون منطوقاً حيناً آخر. ويتخذ وضعاً مشتركاً كلياً أو جزئياً بين المرسل والمخاطب (بمعنى آخر بين من يضع الرموز ومن يفكها) ثم يمر هذا الخطاب أخيراً في قناة تصل بين المرسل والمخاطب فيزيائياً ونفسياً وتمكنهما من إيصال الحديث بينهما ودوامه.

هذه العوامل المختلفة غير المتداخلة في التبليغ نطقاً يمكن تمثيلها كما يلي:

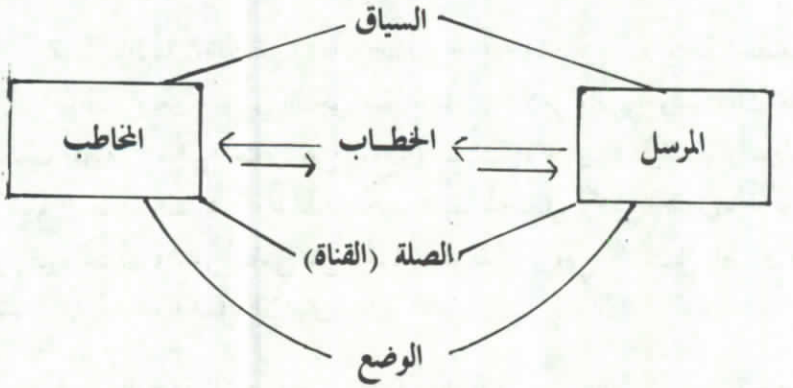

تفرع عن كل عامل من العوامل الستة وظيفة لغوية مختلفة عن غيرها ويجب أن نقول بسرعة: إننا نميز بين مظاهر اللغة الست نظرياً ولكننا لا نجد عملياً من الخطابات ما يتضمن وظيفة واحدة، كما أن تنوع الخطابات لا يتمثل في هيمنة وظيفة أو أخرى وإنما يكمن في ترتيب الوظائف فيما بينها.

وتتعلق البنية المنطوقة لأي خطاب ـ قبل كل شيء ـ بالوظيفة الغالبة[1]، ما نجده من غلبة واضحة فيما ترمي إليه الخطابات من غايات فإن الإسهام الثانوي المتميز للوظائف الأخرى في مثل هذه الخطابات يجب أن يحظى باهتمام كل السانيين.

1 ـ الوظيفة التعبيرية *(Expressive Function)* تركز على المرسل ويقصد بها التعبير المباشر عن حالة المتكلم تجاه من يكلمه، وتعطي الإحساس بانفعال حقيقي أو مفتعل، لهذا فتسميته بالوظيفة الانفعالية التي اقترحها مارتي *Marty* هي التسمية المفضلة عندنا... والطابع الانفعالي المحض في اللغة، تظهر في أساليب التعجب مثلاً وتختلف عن الأساليب الاخبارية في جانبها الصوتي ودورها التركيبي (التعجب ليس عنصراً في عناصر الجملة وانما يقابل جملة كاملة) وتطبع الوظيفة الانفعالية في التعجب خاصة إلى درجة ما كل أقوالنا في المستوى الصوتي والنحوي والإفرادي وإذا حللنا اللغة لنعرف ما تحتويه من معلومات فلا يجب أن نحصر معنى الاعلام في مظهر اللغة الدال على المعاني الحقيقية[2] إذ أن من يستعمل العناصر التعبيرية للدلالة على التهكم والسخرية يبلغ بلا شك معلومات ما هو في عمله هذا متأكد من سلوكه الشفوي لن يفسر بأنه من الأنشطة غير الدلالية.

2 ـ الوظيفة الخطابية *(Cenative Function)* يتجه الخطاب فيها إلى المخاطب ويعبر عنها في النحو لفظاً بالمنادى والأمر والنهي وغير ذلك من الأساليب المماثلة[3]، التي تختلف عن أنواع الأساليب الأخرى الأسمية منها واللفظية في تركيبها النحوي والصرفي، وغالباً ما تكون مختلفة أيضاً في تركيبها الصوتي، فَجُمَلُ الأمر وغيره تختلف في أمر أساسي عن الجمل الخبرية[4]، فهي لا تحتمل الصدق أو الكذب بينما تحتمله الجمل الأخرى.

3 ـ الوظيفة التوصيلية: *(Phatic Communion)* تستعمل

بعض الخطابات أساساً لربط الصلة في عملية التبليغ أو تمديدها أو قطعها أو للتأكد من صلاحية القنـاة الواصلة مثل: (ألو... هل تسمعني) أولتنبيه المخاطب أو التثبت من أنه ما يزال في الاستماع مثل: (قل هل تسمعني؟). هذا التوكيد على الاتصال بين المتحادثين الذي اصطلحنا على تسميته بالوظيفة التوصيلية يمكن أن ينشأ فيه تبادل بعض العبارات من قبيل التعود فقط وكثيراً ما تقع بيننا محادثات طويلة غايتها الوحيدة إطالة وقت الحديث.. وهي الوظيفة الشفوية الأولى التي يكتسبها الأطفال الذين تنشأ فيهم الرغبة في الاتصال قبل قدرتهم على إصدار الخطابات ذات الإفادة الإعلامية وتلقيها.

4 ـ الوظيفة التحقيقية: *(Methalinguistic Function)* لقـــد تم في المنطق الحديث التفريق بين مستويين في اللغة، مستوى (اللغة ـ الموضوع) الذي يكون فيه الحديث باللغة عن الأشياء عامة ومستوى (اللغة ـ الاصطلاح) الذي يتم فيه الكلام باللغة عن اللغة ذاتها ولكن (الوضع المستثني أو الاصطلاح ليس أداة علمية ضرورية في استعمالات المناطقة واللسانيين وحدهم، بل ان هذه الوظيفة اللغوية تلعب دوراً هاماً في اللغة اليومية. إننا نستخدم الوظيفة التحقيقية للغة دون أن نشعر بهذا الطابع التحقيقي لها في عمليات كلامنا كلما أحس المرسل منا ضرورة التأكد من استعمال نفس الوضع الذي يستعمله المخاطب أو العكس ويدور الكلام عن الوضع ليؤدي وظيفته التحقيقية للغة فقد يقول السامع مثلا: (لا أفهمك؟ ماذا تريد قوله) وقد يسأل المتكلم مقدماً: (هل تفهم ما أريد قوله)؟.

إن كل عمليات التعلم اللغوي وخاصة تعلم الطفل لغته الأم يلجأ فيها بكثرة إلى عمليات تحقيق اللغة، وغالباً ما يمكن تعريف الحبسة *(Aphasia)* بفقدان القدرة على القيام بالعمليات اللغوية المرتبطة بالوظيفة التحقيقية.

5 ـ لقد استعرضنا كل العوامل التي يستدعيها التبليغ اللغوي باستثناء ما يتعلق بالخطاب ذاته فما يميز الوظيفة الجمالية *(Poetic Function)* للغـــة هو أنها تؤكد على الخطاب باعتباره خطاباً، ولا يمكننا أن نستفيد من دراسة هذه الوظيفة إذا أهملنا المشكلات العامة التي تطرحها اللغة، هذا من ناحية، ومن ناحية

أخرى، فإن الدراسة الدقيقة للغة تحتم علينا بلا ريب أن نأخذ في اعتبارنا. بجدية. الوظيفة الجمالية إذ أن كل المحاولات التي تهدف إلى حصر دائرة الوظيفة الجمالية في الشعر وحده أو جعل الخطاب الشعري مقتصراً على الوظيفة الجمالية هي محاولات لا يمكن أن تؤدي سوى إلى افراط شديد ومغالطة. فالوظيفة الجمالية ليست الوظيفة الوحيدة في فن اللغة، وإنما هي الوظيفة الغالبة فيه، غير أنها في الأنشطة الشفوية لا تقوم سوى بدورٍ كمالي ثانوي.

إن هذه الوظيفة التي تهتم بالجانب المحسوس من الأدلة تعمق الثنائية الأساسية في الأدلة والأشياء وبمعالجة الوظيفة الجمالية لا تقتصر اللسانيات على مجال الشعر.

الآن وقد أصبح وصفنا السريع لوظائف اللغة الست التي هي أساس التبليغ إلى حد ما وافياً، نكمل الرسم التوضيحي للعوامل الستة الأساسية برسم مناسب للوظائف اللغوية المبينة:

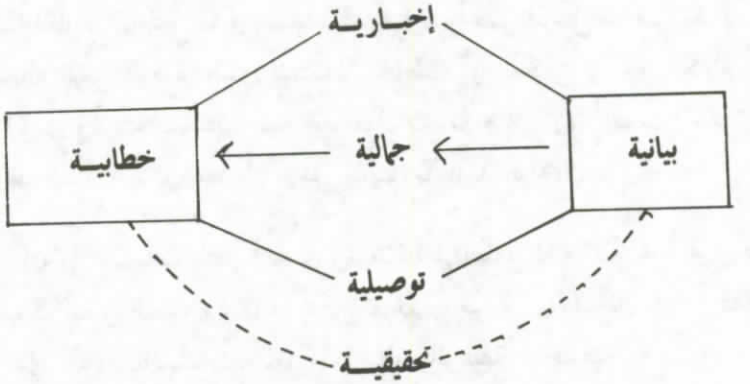

(•) ر. ياكوبسن: أبحاث في اللسانيات العامة ـ 1 ـ أسس اللغة (اللسانيات وفن الشعر. ص.ص 213ـ220.

(1) الوظيفة الغالبة في اللغة عموماً هي الوظيفة الاخبارية *(referencial Function)* غير أن دور الوظائف الأخرى أساسي، وتلتقي كلها في ظاهرة التبليغ المتنوع.

(2) أي المعاني الوضعية، وهي محاولة لتوسيع الدلالة تشتمل المجاز والإيحاء والتضمين وغيرها.

(3) وهي الأساليب التي يطلق عليها في البلاغة العربية: الإنشاء.

(4) التي تتميز بالتقريرية والوصف الموضوعي.